

وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ : "كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ، ثم يقول: أيهما أكثر أخذًا للقرآن ، فإذا^(٣٧) أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد"^(٣٧) رواه البخارى .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ :
"إن الله عز وجل قال: من عادى^(٣٨) لى وليا ، فقد آذنته بالحرب"^(٣٧) . رواه البخارى .
وثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال :

"من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله تعالى ، فلا يظلمنكم الله بشيء من ذمته"^(٤٠)
وعن الإمامين الجليلين أبى حنيفة والشافعى - رحمهما الله تعالى - قالا : إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى .

قال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله : اعلم يا أخى وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته ، وجعلنا وإياك^(٤١) ممن يخشاه ، ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤٢) .

==== الباب الرابع : فى آداب معلم القرآن ومتعلمه ====

هذا الباب مع البابين بعده ، هو مقصود الكتاب ، وهو طويل منتشر جدًا ، وأنا أشير إلى مقاصده مختصرة فى فصول ، ليسهل حفظه ، وضبطه ، إن شاء الله تعالى .

فصل : (اقصِد وجه الله أولاً)^(٤٣)

أول ما ينبغى للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى ، قل الله تعالى :

(٣٦) فى المطبوعة : (إن) .
(٣٧) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (١١٤/٢ - ١١٥) ، والترمذى (١٠٤١) ، والنسائى (٨٣/٤) ، وابن ماجه (١٥١٥) .

(٣٨) فى المطبوعة: (من آذى لى) .

(٣٩) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (١٣١/٨) .

(٤٠) إسناده صحيح ، أخرجه مسلم (١٥٨/٥) ، والترمذى (٢٢٢) ، وأحمد (٣١٢/٤ - ٣١٣) ، من حديث جندب بن سفيان ، وابن ماجه (٣٩٤٥) من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ولم أجده كما قال الإمام النووى فى "البخارى" والله أعلم .

(٤١) سقط من المطبوعة : (وإياك) .

(٤٢) سورة النور : آية ٦٣ .

(٤٣) العنوان مضاف من المحقق .

﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ بَيْنَ الْقِيَمَةِ ﴾^(٤٤) أى الملة المستقيمة .

وفى "الصحيحين" عن رسول الله ﷺ : "إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى"^(٤٥) . وهذا الحديث من أصول الإسلام .

وروينا عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : "إنما يحفظ الرجل على قدر نيته" .
وعن غيره : إنما يعطى الناس على قدر نياتهم .

وروينا عن الأستاذ أبى القاسم القشيري - رحمه الله تعالى - قال : الإخلاص إفراد الحق فى الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شىء آخر من تصنع لمخلوق ، أو اكتساب محملة عند الناس ، أو محبة ، أو مدح من الخلق ، أو معنى من المعانى سوى التقرب إلى الله تعالى .

قال ، ويصح أن يقال : الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين .

وعن حذيفة المرعشى - رحمه الله تعالى - قال : الإخلاص استواء السر ، والعلانية .

وعن نذى النون - رحمه الله تعالى - : ثلاث من علامات الإخلاص : استواء المدح ، والذم من العامة ، ونسيان رؤية العمل^(٤٦) ، واقتضاء ثواب الأعمال فى الآخرة .

وعن الفضيل بن عياض - رضى الله عنه - قال : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

وعن سهل التستري - رحمه الله - قال : نظر الأكياس فى تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا ، أن تكون حركته وسكونه فى سره وعلانيته لله تعالى وحده ، لا يمازجه شىء ، لا نفس ، ولا هوى ، ولا دنيا .

وعن السرى - رحمه الله - قال : لا تعمل للناس شيئا ، ولا تترك لهم شيئا ، ولا تغط لهم شيئا ، ولا تكشف لهم شيئا .

وعن القشيري - رحمه الله - قال : أقل^(٤٧) الصديق استواء السر والعلانية .

وعن الحارث المحاسبى - رحمه الله - قال : الصادق هو الذى لا يبالي ، ولو خرج عن كل قدر له فى قلوب الخلق^(٤٨) من أجل صلاح قلبه ، ولا يجب إطلاع الناس على

(٤٤) سورة البينة : آية ٥ .

(٤٥) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (٢/١) ، (٢١/١) ، (١٩١/٣) ، (٧٢/٥) ، ومسلم (٥٣/١٣) ، وابن ماجه

(٤٢٢٧) ، وأحمد (٢٥/١) ، (٤٣) .

(٤٦) فى المخطوطة : (الأعمال) .

(٤٧) فى المطبوعة : (الفضل) ، وانظر الرسالة القشيرية (ص/١٠٦) .

(٤٨) فى المطبوعة : (الخالق) .

[مقابل النذر من حسن عمله ، ولا يكره إطلاع الناس على]^(٤٩) السيئ من عمله ، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يجب الزيادة عندهم ، وليس هذا من أخلاق الصديقين .
وعن غيره : إذا طلبت الله تعالى بالصدق ، أعطاك الله مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة .

وأقوال السلف في هذا كثيرة أشرنا إلى هذه الأحرف منها ، تنبيهها على المطلوب ، وقد ذكرت جملا من ذلك مع شرحها في أول شرح المهذب ، [في الرابع قبل الطهارة]^(٥٠) ، وضممت إليها من آداب العالم ، والمتعلم ، والفقير ، والمتفقه ، ما لا يستغنى عنه طالب علم ، والله أعلم .

فصل : (إياك والأغراض الدنيوية) (*)

وينبغي أن لا يقصد به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا ، من مل ، أو رئاسة أو وجاهة ، أو ارتفاع على الأقران^(٥١) ، أو ثناء عند الناس ، أو صرف وجوه الناس إليه ، أو نحو ذلك .

ولا يشين^(٥٢) المقرئ إقراؤه بطمع في رفق ، يحصل له من بعض من يقرأ عليه ، سواء كان الرفق مالا أو خدعة ، وإن قل ، ولو كان على صورة الهدية ، التي لولا قراءته عليه لما أهداها إليه ، قل تعالى :

﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾^(٥٣)

وقل تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾^(٥٤) .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قل : قل رسول الله ﷺ :

“ من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من أعراض الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ”^(٥٥) . رواه أبو داود بإسناد صحيح ، ومثله

(٤٩) ما بين المعكوفين سقط من المطبوعة .

(٥٠) ما بين المعكوفين سقط من المطبوعة .

(٥١) مضاف من المحقق .

(٥٢) في المطبوعة : (القرآن) .

(٥٣) في المطبوعة : (ولا يشوب) .

(٥٤) سورة الشورى : ٢٠ .

(٥٥) سورة الإسراء : ١٨ .

(٥٥) إسناده صحيح ، أخرجه أبو داود (٣٦٦٤) ، وابن ماجه (٢٥٢) ، وأحمد (٣٣٨/٢) ، وابن حبان (١٤٨/١) ، والحاكم (٥٨/١) . في سننه للبح بن سليمان الخزازي ، قال الحافظ : صدوق ، كثير الخطأ ، لكن رواه ابن المبارك (٤٤) في الزهد موقولا على أبي ذر ، وقد تابع زائد بن قدامة ، وهو ثقة ، فليحيا .

أحاديث كثيرة . وعن أنس وحذيفة وكعب بن مالك - رضى الله عنهم - أن رسول الله ﷺ قال : " من طلب العلم ليمارى به السفهاء ، أو يكثر به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوأ مقعده من النار"^(٥٦) . رواه الترمذى من رواية كعب بن مالك ، وقال : "أدخله الله النار" .

فصل : (احترز من سوء النية) (*)

وليحذر كل الحذر من قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه ، والمختلفين إليه .
 وليحذر من كراهته قراءة أصحابه على غيره ممن ينتفع به ، وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين ، وهى دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته ، وفساد طويته ، بل هى حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله تعالى الكريم ، فإنه لو أراد الله بتعليمه لما كره ذلك ، بل قال لنفسه : أنا أردت الطاعة بتعليمه ، وقد حصلت ، وقد قصد بقراءته على غيرى زيادة علم ، فلا عتب عليه .

وقد روينا فى مسند الإمام المجمع على حفظه وإمامته^(٥٧) أبى محمد الدارمى - رحمه الله - عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه قال :

"يا حملة القرآن - أو قال يا حملة العلم - : اعملوا به ، فإنما العالم من عمل بما علم ، ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم ، لا يجاوز تراقيهم ، يخالف عملهم علمهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، ويجلسون حلقة حلقة ، يباهى بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ، ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله تعالى"^(٥٨) .

وقد صح عن الإمام الشافعى - رحمه الله - أنه قال : "وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم ، يعنى علمه وكتبه - على أن لا ينسب إلى حرف منه"^(٥٩)

(٥٦) إسناده حسن ، أخرجه الترمذى (٢٧٩٢) ، والحاكم (٨٦/١) ، والطبرانى (١٠٠/١٩) برقم (١٩٩) من حديث كعب وفى سنده إسحاق بن يحيى ، قال الحافظ : ضعيف ، التقريب (٦٢/١) ، وأخرجه ابن ماجه . (٢٥٣) من حديث ابن عمر ، وفى سنده حماد بن عبد الرحمن ، ضعفه الحافظ ، وأبو كروب الأزدي ، قال : مجهول ، انظر : التقريب (١٩٧/١) ، (٤٦٦/٢) . وأخرجه ابن ماجه (٢٥٩) من حديث حذيفة ، وفى سنده بشر بن ميمون ، قال الحافظ : متروك ، منهم ، التقريب (١٠٤/١) . وأخرجه ابن ماجه (٢٥٤) وابن حبان (١٤٧/١) ، والحاكم (٨٦/١) وفيه عن عنة ابن جريح ، وأبو الزبير ، وأخرجه الطبرانى ، وفيه عبد الخالق بن زيد ، وهو ضعيف ، قاله الهيثمى ، مجمع الزوائد (١٨٤/١) ومجموع الطرق يرتقى إلى الحسن .

(*) العنوان مضاف من المحقق .

(٥٧) فى المخطوطة : (أمانته) .

(٥٨) إسناده ضعيف ، أخرجه الدارمى (٣٨٨) فى سنده ثوبان بن أبى فاختة ، قال الحافظ : ضعيف ، رُمى بالرفض ، التقريب (١٢١/١) .

(٥٩) حلية الأولياء (١١٨/٩) .

فصل : (عليك بالخصال الحميدة ، والشيم المرضية) (*)

وينبغي للمعلم أن يتخلق بالمخاسن التي ورد الشرع بها ، والخصال الحميدة ، والشيم المرضية التي أُرشد الله إليها ، من الزهادة في الدنيا ، والتقلل منها ، وعدم المبالاة بها ، وبأهلها ، والسخاء ، والجود ، ومكارم الأخلاق ، وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة ، والحلم ، والصبر ، والتنزه عن دنيء الاكتساب^(٦٠) ، وملازمة الورع ، والخشوع ، والسكينة ، والوقار ، والتواضع ، والخضوع ، واجتناب الضحك ، والإكثار من المزاح ، وملازمة الوظائف الشرعية ، كالتنظيف بإزالة الأوساخ ، والشعور التي ورد الشرع بإزالتها ، كقص الشارب ، وتقليم الأظافر^(٦١) ، وتسريح اللحية ، وإزالة الروائح الكريهة ، والملابس المكروهة ، وليحذر كل الحذر من : الحسد والرياء ، والعجب ، واحتقار غيره ، وإن كان دونه . وينبغي أن يستعمل الأحاديث الواردة في التسبيح والتهليل ، ونحوهما من الأذكار ، والدعوات ، وأن يراقب الله تعالى في سره وعلايته ، ويحافظ على ذلك ، وأن يكون تعويله في جميع أموره على الله تعالى .

فصل : (كن رفيقاً بطالب العلم) (*)

وينبغي له أن يرفق بمن يقرأ عليه ، وأن يرحب به ، ويحسن إليه ، بحسب حاله . فقد روينا عن أبي هارون العبدى قال : كنا نأتي أبا سعيد الخدرى - رضى الله عنه - فيقول : مرحباً بوصية رسول الله ﷺ ، إن النبي ﷺ قال : "إن الناس لكم تبع ، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض ، فيتفقهون في الدين ، فإنا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً"^(٦٢) . رواه الترمذى^(٦٣) وابن ماجه وغيرهما .

فصل : (كيفية معاملة طالب العلم) (*)

وينبغي أن يبذل لهم النصيحة ، فإن رسول الله ﷺ قال : "الدين النصيحة" قلنا لمن يا

(٦٠) العنوان مضاف من المحقق .

(٦١) في المطبوعة : (المكاسب) .

(٦٢) في المطبوعة : (الظفر) .

(٦٣) العنوان مضاف من المحقق .

(٦٤) إسناده ضعيف ، أخرجه الترمذى (٢٧٨٨) ، (٢٧٨٩) ، وابن ماجه (٢٤٧) ، (٢٤٩) ، وأبو نعيم (٢٥٢/٩) -

(٢٥٣) في الحلية ، في سنده أبو هارون العبدى ، قال الحافظ : متروك ، ومنهم من كذبه ، التقريب (٤٩/٢) .

لكن تابعه شهر بن حوشب عند الخطيب البغدادي (١١٦/٢) في "الفيح" وهو صدوق ، كثير الخطأ والوهم ، وفي

سنده ليث بن أبي سليم ، صدوق ، اختلط ولم يتميز حديثه فترك ، التقريب (١٣٨/٢) .

(٦٥) في المخطوطة : (أبو داود) ، والصواب ما أثبتناه من المطبوعة ، فليس الحديث المذكور عند أبي داود .

(٦٦) العنوان مضاف من المحقق .

رسول الله؟! قال: "لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"^(٦٤). رواه مسلم. ومن النصيحة لله تعالى، ولكتابه إكرام قارئه، وطالبه، وإرشاده إلى مصلحته، والرفق به، ومساعدته على طلبه بما أمكن، وتألف^(٦٥) قلب الطالب، وأن يكون سمحا بتعليمه في رفق، متلطفا به، ومحرضا له على التعليم.

وينبغي له أن يذكر فضيلة ذلك ليكون سببا في نشاطه، وزيادة رغبته، ويزهده في الدنيا، ويصرفه عن الركون إليها بقلبه، والاعتزاز بها، ويذكره أن الاشتغال بالقرآن، وسائر العلوم الشرعية، هو طريقة الحازمين، العارفين، وعباد الله الصالحين، وأن ذلك رتبة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وينبغي أن يشفق على الطالب، ويعتنى بمصالح ولده، ومصالح نفسه، ويجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه، والصبر على جفائه، وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان، فإن الإنسان معرض للنقائص، لا سيما إذا كان صغير السن.

وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير، وأن يكره له ما يكره لنفسه من النقص مطلقاً، فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^(٦٦). وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أكرم الناس على جليسى الذى يتخطى الناس، حتى يجلس إلى، لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت. وفي رواية: إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني^(٦٧).

وينبغي أن لا يتعاضم على المتعلمين، بل يلين لهم، ويتواضع معهم، فقد جاء فى التواضع لأحد الناس أشياء كثيرة معروفة، فكيف بهؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده، مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن، ومع ما لهم من حق الصحبة، وترددهم إليه، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: "لينوا لمن تعلمون، ومن تتعلمون منه"^(٦٨).

وعن أبى أيوب السخيتانى - رحمه الله - قال^(٦٩): ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه، تواضعاً لله تعالى^(٧٠).

(٦٤) إسناده صحيح، أخرجه مسلم (٣٧/٢)، وأبو داود (٤٩٤٤).

(٦٥) فى المطبوعة: (تأليف).

(٦٦) إسناده صحيح، أخرجه البخارى (١٠/١)، ومسلم (١٦/٢) عن أنس رضى الله عنه.

(٦٧) أخرجه البخارى (ص/٣٣٢) فى الأدب المفرد من طريقين، فى الأول عبد الله بن المؤمل، ضعيف الحديث، كما

فى التقريب (٤٥٤/١). وفى الثانى شريك القاضى، صدوق، يخطئ كثيراً، والتقريب (٣٥١/١).

(٦٨) إسناده ضعيف جداً، أخرجه الخطيب فى "الفيح" (١١٣/٢)، وفى سنده عباد بن كسير الثقفى، مستروك،

التقريب (٣٩٣/١).

(٦٩) سقط من المخطوطة: (قال).

(٧٠) فى المطبوعة: (عز وجل).

فصل : (طريقة التأديب) (*)

وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدريج بالأدب السنية ، والشيم المرضية ، ورياضة نفسه بالدقائق الخفية ، ويعوده الصيانة فى جميع أموره الباطنة ، والجلية ، ويجرضه بأقواله ، وأفعاله المتكررات على الأخلاق الحميدة ، والصدق ، وحسن النيات ، ومراقبة الله تعالى فى جميع اللحظات ، ويعرفه أن لذلك تفتح عليه أنوار المعارف ، وينشرح صدره ، ويتفجر من قلبه ينباع الحكم واللطائف ، وبارك له فى علمه ، وحاله ، ويوفى فى أفعاله ، وأقواله .

فصل : (حكم التعليم) (**)

تعليم المتعلمين فرض كفاية ، فإن لم يكن من يصلح إلا واحدا تعين عليه ، وإن كان جماعة يحصل التعليم ببعضهم ، فإن امتنعوا كلهم أثموا ، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين ، وإن طلب من أحدهم ، وامتنع فأظهر الوجهين أنه لا يأثم ، لكن يكره له ذلك إذا^(٣) لم يكن عذر .

فصل : (آداب مستحبة للمعلم) (***)

يستحب للمعلم أن يكون حريصا على تعليمهم ، مؤثرا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية التى ليست بضرورية ، وأن يفرغ قلبه فى حل جلوسه لإقرائهم من الأسباب الشاغلة كلها ، وهى كثيرة معروفة ، وأن يكون حريصا على تفهيمهم ، وأن يعطى كل إنسان منهم ما يليق به ، فلا يكثر على من لا يحتمل الإكثار ، ولا يقصر على من^(٣) يحتمل الزيادة ، ويأخذهم بإعادة محفوظاتهم ، ويشئى على من ظهرت نجابته^(٣) ، ما لم يخش عليه فتنة بإعجاب ، أو غيره ، ومن قصر عنفه تعنيفا لطيفا ما لم يخش تنفيره ، ولا يحسد أحدا منهم لبراعة تظهر منه ، ولا يستكثر فيه ما أنعم الله تعالى به عليه ، فإن الحسد للأجانب حرام ، شديد التحريم ، فكيف للمتعلم الذى هو بمنزلة الولد ، ويعود من فضيلته إلى معلمه فى الآخرة الثواب الجزيل ، وفى الدنيا الثناء الجميل ، والله الموفق^(٣) .

(*) العنوان مضاف من المحقق .

(**) العنوان مضاف من المحقق .

(٧١) فى المطبوعة : (إن) .

(***) العنوان مضاف من المحقق .

(٧٢) فى المطبوعة : (لن) مكان (على من) .

(٧٣) النجابة: مصدر النجيب من الرجال ، وهو الكرم ذو الحسب إذا خرج خروج أبيه فى الكرم ، والمراد هنا الذكاء

(٧٤) سقط من المخطوطة : (والله الموفق) .

فصل

ويقدم فى تعليمهم إذا ازدحموا الأول ، فالأول ، فإن رضى الأول بتقديم غيره قدمه ، وينبغى أن يظهر لهم البشر ، وطلاقة الوجه ، ويفقد أحوالهم ، ويسأل عنهم ، وعمن غاب منهم .

فصل

قال العلماء رضى الله عنهم : ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية .
فقد قال سفيان وغيره : طلبهم للعلم نية .
وقالوا : طلبنا العلم لغير الله تعالى ، فأبى أن يكون إلا لله (٧٥) .
معناه : كانت عاقبته (٧٦) أن صار لله تعالى .

فصل

ويصون يديه فى حل القراءة عن العبث ، وعينه عن تفريق نظرهما من غير حاجة ، ويقعد على طهارة ، مستقبل القبلة ، ويجلس بوقار ، وتكون ثيابه بيضاء نظيفة ، وإذا وصل إلى موضع جلوسه صلى ركعتين قبل الجلوس ، سواء كان الموضع مسجدا ، أو غيره ، فإن كان مسجدا كان أكد ، فإنه يكره الجلوس فيه قبل أن يصلى ، ويقعد (٧٧) متربعا إن شاء أو غير متربع . وروى أبو بكر بن أبى داود السجستاني بإسناده عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - كان يقرئ الناس فى المسجد جاثيا على ركبتيه .

فصل

ومن آدابه المتأكلة ، وما يعتنى بحفظه أن لا ينزل العلم فيذهب إلى مكان ينسب إلى من يتعلم منه فيه ، وإن كان المتعلم منه فيه خليفة فمن دونه ، بل يصون العلم عن ذلك ، كما صانه عنه السلف - رضى الله عنهم - ، وحكاياتهم فى هذا كثيرة مشهورة .

فصل

وينبغى أن يكون مجلسه واسعا ليتمكن جلساؤه فيه ، وفى الحديث عن النبى ﷺ :
"خير المجالس أوسعها" (٧٨) ، رواه أبو داود فى "سننه" فى أوائل كتاب الآداب بإسناد صحيح من رواية أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

(٧٥) الحلية (٣٦٤/٦) .

(٧٦) فى المطبوعة : (غايته) .

(٧٧) فى المطبوعة : (ويجلس) .

(٧٨) أخرجه أبو داود (٤٨٢٠) ، وأحمد (١٨/٣) ، (٦٩) ، والحاكم (٢٦٩/٤) وقال : صحيح على شرط البخولى ، وصححه الشيخ الألبانى بشاهده كما فى السلسلة الصحيحة (٨٣٢) .

فصل : (فى آداب المتعلم)

جميع ما ذكرناه من آداب المعلم فى نفسه آداب للمتعلم ، ومن آدابه : أن يتجنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل ، إلا سبباً لا بد منه للحاجة ، وينبغى أن يطهر قلبه من الأدناس ، ليصلح لقبول القرآن ، وحفظه ، واستثماره ، فقد صح عن النبى ^(٧٧) ﷺ أنه قل : "ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب" ^(٨٠).

وقد أحسن القائل بقوله : يطيب القلب للمعلم كما تطيب الأرض للزراعة .

فصل (٨١)

وينبغى أن يتواضع لمعلمه ، ويتأدب معه ، وإن كان أصغر منه سناً ، وأقل شهرة ونسباً ، وصلاًحاً ، وغير ذلك ، ويتواضع للمعلم ، فتواضعه للمعلم يدرکه ، وقد قالوا نظماً :
العلم حرب للفتى ^(٨٢) المتعالى كالسيل حرب للمكان العالى
وينبغى أن ينقاد لمعلمه ، ويشاوره فى أموره ، ويقبل قوله كالمريض العاقل ، يقبل قول الطبيب الناصح الخلاق ، وهذا أولى .

فصل

ولا يتعلم إلا من كملت أهليته ، وظهرت ديانتہ ، وتحققت معرفته ، واشتهرت صيانتہ ، فقد قل محمد بن سيرين ، ومالك بن أنس وغيرهما من السلف : هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم .
وعليه أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ، ويعتقد كمال أهليته ، ورجحانه على طبقتہ ، فإنه أقرب إلى انتفاعه به ، وكان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء ، وقال : اللهم استر عيب معلمى عنى ، ولا تذهب بركة علمه منى .
وقال الربيع صاحب الشافعى - رحمهما الله - : ما اجترأت أن أشرب الماء ، والشافعى ينظر إلى هيبه له .

ورويانا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قل : من حق المعلم عليك : أن تسلم على الناس عامة ، وتخصه دونه بالتحية ^(٨٣) ، وأن لا تجلس أمامه ، ولا

(٧٩) فى المطبوعة : (عن رسول الله) .

(٨٠) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (٢٠/١) ، ومسلم (٢٨/١١) ، وابن ماجه (٣٩٨٤) .

(٨١) سقط من المطبوعة : (فصل) .

(٨٢) سقط من المخطوطة : (للفق) .

(٨٣) فى المطبوعة : (بتحية) .

تشيرن عنده بيدك ، ولا تغمزن بعينيك ، ولا تقولن قال فلان خلافاً لقوله ، ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولا تشاور جليسك فى مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه إذا قام^(٨٤) ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تعرض ، أى تشعب من طول صحبته^(٨٥) .

وينبغى أن يتأدب بهذه الخصال التى أرشد إليها على - كرم الله وجهه - وأن يرد غيبة شيخه إن قدر ، فإن تعذر عليه ردّها فارق ذلك المجلس .

فصل

ويدخل على الشيخ كامل الحال^(٨٦) ، متصفاً بما ذكرناه فى المعلم ، متطهراً ، مستعملاً للسواك ، فارغ القلب من الأمور الشاغلة ، وأن لا يدخل بغير استئذان إذا كان الشيخ فى مكان يحتاج فيه إلى استئذان ، وأن يسلم على الحاضرين إذا دخل ، ويخصه دونهم بالتحية^(٨٧) ، وأن يسلم عليه ، وعليهم إذا انصرف كما جاء فى الحديث : "فليست الأولى أحق من الثانية"^(٨٨) .

ولا يتخطى رقاب الناس ، بل يجلس حيث ينتهى به المجلس ، إلا أن يأذن له الشيخ فى التقدم ، أو يعلم من حالهم إثارهم لذلك ، ولا يقيم أحدًا من موضعه ، فإن أثره غيره لم يقبل اقتداء بابن عمر - رضى الله عنهما - إلا أن يكون فى تقدمه مصلحة للحاضرين ، أو أمره الشيخ بذلك ، ولا يجلس فى وسط الحلقة إلا لضرورة ، ولا يجلس بين صاحبين بغير إذنهما ، وإن فسحا له قعد ، وضم نفسه .

فصل

وينبغى أيضاً أن يتأدب مع رفقته ، وحاضرى مجلس الشيخ ، فإن ذلك تأدب مع الشيخ ، وصيانة لمجلسه ، ويقعد بين يدى الشيخ قعدة المتعلمين ، لا قعدة المعلمين ، ولا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجة ، ولا يضحك ، ولا يكثر الكلام من غير حاجة ، ولا يعبت بيده ، ولا بغيرهما ، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً من غير حاجة ، بل يكون متوجهاً إلى الشيخ مصغياً إلى كلامه .

فصل

ومما يتأكد الاعتناء به : أن لا يقرأ على الشيخ فى حل شغل قلب الشيخ ، ومالله ،

(٨٤) سقط من المخطوطة : (إذا قام) .

(٨٥) أخرجه ابن عبد البر (٢٥٦/١) فى "الجامع" وفى سننه سليمان النخعى ، قال أحمد بن حنبل : كان يضع الحديث ، وقال البخارى : متروك ، وماه قتيبة وإسحاق بالكذب .

(٨٦) فى المطبوعة : (الخصال) .

(٨٧) سقط من المخطوطة : (دوهم بالتحية) .

(٨٨) إسناده صحيح ، أخرجه أبو داود (٥٢٠٨) ، والترمذى (٢٨٤٩) ، وأحمد (٢٣٠/٢) ، وله شواهد .

واستيفازه^(٨٩)، وروعه، وغمه، وفرحه، وعطشه، ونعاسه، وقلقه، ونحو ذلك مما يشق عليه، أو يمنعه من كمال حضور القلب، والنشاط، وأن يغتنم أوقات نشاطه. ومن آدابه أن يتحمل جفوة الشيخ، وسوء خلقه، ولا يصله ذلك عن ملازمته، واعتقاده كماله، ويتأول لأفعاله، وأقواله التي ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة، فما يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق، أو عديمه.

وإذا^(٩٠) جفاه الشيخ ابتداءً هو بالاعتذار إلى الشيخ، وأظهر أن الذنب له، والعتب عليه، فلذلك أنفع له في الدنيا والآخرة، وأنقى لقلب الشيخ، وقد قالوا: من لم يصبر على ذل التعليم بقى عمره فى عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره^(٩١) إلى عز الآخرة، والدنيا. ومن الأثر المشهور عن ابن عباس - رضى الله عنهما -: ذلت طالباً، فعززت مطلوباً^(٩٢).

[وقد أحسن من قل :

من لم يذق طعم المذلة ساعة قطع الزمان بأسره مذلولاً]^(٩٣)

فصل

ومن آدابه المتأكلة أن يكون حريصاً على التعلم، مواظباً عليه فى جميع الأوقات التى يتمكن منه فيها، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير، ولا يحمل نفسه ما لا يطيق، مخافة من الملل، وضياح ما حصل، وهذا يختلف باختلاف الناس، والأحوال، وإذا جاء إلى مجلس الشيخ فلم يجده انتظر، ولازم بابه، ولا يفوت وظيفته إلا أن يخاف كراهة الشيخ لذلك، بأن يعلم من حالة الإقراء فى وقت بعينه، وأنه لا يقرئ فى غيره، وإذا وجد الشيخ نائماً، أو مشتغلاً بهم لم يستأذن عليه، بل يصبر إلى استيقاظه، أو فراغه، أو ينصرف، والصبر أولى كما كان ابن عباس - رضى الله عنهما - وغيره يفعلون. وينبغى أن يأخذ نفسه بالاجتهاد، والتحصيل فى وقت الفراغ، والنشاط، وقوة البدن، ونباهة الخاطر، وقلة الشاغللات قبل عوارض البطالة، وارتفاع المنزلة.

فقد قل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا^(٩٤). معناه : اجتهدوا فى كمال أهليتكم، وأنتم أتباع، قبل أن تصيروا سلة، فإنكم إذا صرتم

(٨٩) فى المطبوعة : (استيفازه).

(٩٠) فى المطبوعة : (وإن).

(٩١) فى المخطوطة : (عمره).

(٩٢) جامع بيان العلم (١/١٤٢).

(٩٣) ما بين المعكوفتين سقط من المخطوطة.

(٩٤) إسناده صحيح، أخرجه البخارى (٢٨/١) تعليقاً، ووصله الدارمى (٢٥٦).

سلاة متبوعين امتنعتم من التعلم ، لارتفاع منزلتكم ، وكثرة شغلكم ، وهذا معنى قول الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى : تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه .

فصل

وينبغى أن يبكر بقراءته على الشيخ أول النهار ، لحديث :
"اللهم بارك لأمتى فى بكورها"^(٩٥)

وينبغى أن يحافظ على قراءة محفوظاته^(٩٦) ، ولا ينبغى أن يؤثر بنوبته غيره ، فإن الإيثار فى القرب مكروه ، بخلاف الإيثار بحفظ النفس^(٩٧) ، فإنه محبوب . فإن رأى الشيخ المصلحة فى الإيثار فى بعض الأوقات لمعنى شرعى ، فأشار إليه^(٩٨) بذلك امتثل أمره ، وما يجب عليه ، ويتأكد الوصيه به :

أن لا يحسد أحداً من رفقته ، أو غيرهم على فضيلة رزقه الله إياها ، وأن لا يعجب بنفسه بما خصه الله ، وقد قدمنا إيضاح هذا فى آداب الشيخ ، وطريقه فى نفى العجب أن يذكر نفسه أنه لم يحصل ما حصله بحوله وقوته ، وإنما هو فضل من الله تعالى ، ولا ينبغى أن يعجب بشيء لم يختزعه بل أودعه الله تعالى فيه ، وطريقه فى نفى الحسد أن يعلم أن حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذه الفضيلة فى هذا ، فينبغى أن لا يعترض عليها ، ولا يكره حكمة أرادها الله تعالى ، ولم يكرهها .

الباب الخامس : فى آداب حامل القرآن

وقد تقدم جمل منها^(٩٩) فى الباب الذى قبل هذا .

ومن آدابه : أن يكون على أكمل الأحوال ، وأكرم الشمائل ، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن ، وأن يكون مصوناً عن دنىء الاكتساب ، شريف النفس ، مترفعاً^(١٠٠) عن الجبايرة ، والجفافة من أهل الدنيا ، متواضعاً للصالحين ، وأهل الخير والمساكين ، وأن يكون متخشعاً ذا سكينه ووقار .

(٩٥) إسناده صحيح بشواهد ، أخرجه أحمد (٤١٦/٣ - ٤١٧) ، وأبو داود (٢٦٠٦) ، والترمذى (١٢٣٠) وابن ماجه (٢٢٣٦) من حديث أبي هريرة والدارمى (٢١٤/٢) من حديث صخر الغامدى ، وابن ماجه (٢٢٣٧) من حديث ابن عمر ، والطبرانى (١٠٤٩٠) فى الكبير من حديث ابن مسعود (١٠٦٧٩) من حديث ابن عباس .

(٩٦) فى المطبوعه : (محفوظه) .

(٩٧) فى المطبوعه : (النفس) .

(٩٨) فى المطبوعه : (فأشار عليه) .

(٩٩) فى المطبوعه : (منه) .

(١٠٠) فى المطبوعه : (مرتفعاً) .